التجديد في التفسير
ضرورة واقعية وسنة جارية

بحث مقدم
إلى المؤتمر العلمي الأول
تجديد العلوم العربية والإسلامية بين الأصالة والمعاصرة
المنعقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق
جامعة الأزهر ٢٠/٣/٢٠٢١

إعـــــداد
الدكتـــورة
عايدة أحمد محمود مخلص
الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات
بالمنصورة

ملخص

يعد التجديد بشكل عام مطلبًا مُلِحًا من متطلبات الحياة، وبابًا من أبواب استمرارها ؛ ذلك أن التجديد يعني أن الحياة قائمة مستمرة. ومثلما يكون التجديد في الحياة يكون في العلوم، والتجديد في علم التفسير كان مطلبًا ملحًا عبر العصور الإسلامية؛ بل سنة محمودة، فقد روي عن الصحابي الجليل أبي هريرة – رضي الله عنه – عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال "يبعث الله على رأس كل مائة عام من يجدد لهذه الأمة أمر دينها"(١) ومن ثم كان الواجب على العلماء المفسرين أن يجددوا في تفسير القرآن؛ تفسيرًا علميًا يساير العصر، وذلك باستنباط بعض الأحكام التي تعالج ما استجد واستحدث في واقعنا، وفضح حقيقة تلك القراءات المعاصرة الفاسدة ونقدها وتفنيدها؛ إذ التجديد هو تجديد لفهم كلام الله في كتابه.

١) رواه أبو داود في كتاب الملاحم – باب ما يذكر في قرن المائة برقم ٤٢٩١ (٤ / ١٠٩) وصححه السخاوي في المقاصد الحسنة ١٤٩، والألباني في السلسلة الصحيحية برقم ٥٩٩.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، قيمًا هاديًا إلى الصراط المستقيم إلى يوم يقوم الناس فيه لرب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه، خاتم النبيين والمرسلين، خير المجددين الموحدين الهادين إلى صراط الله المستقيم.أما بعد

فإن حاجة المسلمين اليوم ماسة للعودة للقرآن الكريم قراءة وتدبرًا واستنباطًا، وفهمًا وتطبيقًا من أجل استئناف المسيرة الحضارية، وتقويم ما ظهر من اعوجاج وتحريف في الفهم والسلوك، باعتبار القرآن مصدرًا مرجعيًا في التشريع والمعرفة والأخلاق، وقد صار التجديد في الدين أمرًا ضروريًا، بل أصبح يفرض نفسه اليوم وبإلحاح، وديننا الحنيف يدعونا إلى التجديد، وتطوير حياتنا وفق النهج السليم، والتطبيق القويم للنصوص الشرعية في إطار الضوابط العلمية التي سنها العلماء في هذا الصدد، مما سيفصله البحث إن شاء الله تعالى ، ومن هنا تأتي أهمية البحث وأسباب اختياره.

أهداف البحث

في هذا البحث نقف على معالم التجديد وما يتعلق به من ضوابط ومعايير. كما نلقي الضوء على أهم الموضوعات التي ينبغي العناية بها ومعالجتها في ضوء الفهم الصحيح لكتاب الله تعالى. كما ننبه على المخاطر التي تُرْتَكب باسم التجديد والتطوير ..... إلخ.

وما هذه إلا لبنة في هذا الصرح الحضاري التقدمي، وخطوة إلى تمكين الأمة، فالقرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد. أنزله الله محفوظًا من التبديل والتغيير، والزيادة والنقصان،؛ ليكون مرجعهم إليه تلاوة وعملًا، وتحاكمًا واستهداء، فهو مشكاة النور التي لا يأفل

ضياؤها، ولا تختفي أنوارها، به تسمو الأرواح، وتعلو الهمم، وتحيا القلوب، وتنهض الشعوب.

أسباب اختياري للموضوع

١ – لقد صار التجديد في الدين أمًرا ضروريًا، وأصبح يفرض نفسه اليوم بشدة ، وبخاصة في ظل النكبات الخُلقية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها التي أصابت الأمة، وهذا في مجمله راجع لعدم تجديد فهم وتطبيق النصوص الشرعية قرآنًا وسنة.

٢ – إن ديننا يدعو إلى التجديد ، وتطوير الحياة وفق المنهج الصحيح؛ لأن الحياة من حولنا تتجدد، فكان ولابد من تجديد الفهم في الخطاب القرآني بما يتناسب مع واقعنا المعاصر.

٣ – إن قضية التجديد في العصر الحديث تعد من أخطر القضايا المعاصرة، وأرفعها صوتًا وأشهرها دعاة وأنصارًا، والقرآن العظيم قد استجمع مقومات الخلود والهداية فهو السلسبيل للظامئين ، والنور للمسترشدين، يقدم الحلول في كل عصر وزمان، من هنا وجب على المتخصصين في دراسة التفسير أن يعايشوا مثل هذه القضايا بحثًا وكتابة.

٤ – اهتمامي بالقضايا المعاصرة والمشكلات التي تعاني منها الإنسانية التي لا سبيل لحلول ناجعة لها بعيدًا عن هدايات القرآن الكريم، والقرآن لكل الأزمنة والأمكنة.

الدراسات السابقة

وذلك من خلال البحث والتنقيب عن الكتب والبحوث المعنية بالكتابة في هذا الموضوع وقفت على :

اتجاهات التفسير في مصر والشام. رسالة دكتوراه في كلية أصول الدين، جامعة الأزهر . د/ فضل حسن عباس ١٩٧٢م.

التجديد في التفسير فريضة شرعية وضرورة حضارية. د/ أحمد محمد الشرقاوي، بحث منشور في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج ١٢، ع ٣ ، ٢٠١٦م.

التجديد في التفسير. نظرة في المفهوم والضوابط. د/ عثمان عبد الرحيم، بحث منشور في مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، المطبعة العصرية، الإصدار الحادي عشر.

التجديد في التفسير. يحيى شطناوي. مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث. المجدلد ٦. العدد ٢٣، ٢٠١٠م

التجديد في الدراسات التفسيرية. مقترحات وتجارب. د/ عبد الله أبو المجد. بحث مقدم للمؤتر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية المقام في جامعة الملك سعود، ٢٠١٣م

التجديد في التفسير مجالاته وضوابطه. د/ فلوة الراشد . بحث مقدم لمؤتمر في ماليزيا ٢٠١٢م .

ومع إفادتي بهذه البحوث والأعمال القيمة إلا أنني ركزت على تأصيل مصطلح التجديد، وبيان أهميته وضرورته، وضوابط التجديد ،كما ركزت على التجديد بين دعاة الهدم ودعاة البناء.

خطة البحث ومنهجه

ويتكون من تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

التمهيد: ويشتمل على ما يلي :-

أولًا :مفهوم التجديد

ثانيًا: موقف الإسلام من التجديد

المبحث الأول: التجديد ومقاصد القرآن

المبحث الثاني:التجديد سنة واقعية وواجب شرعي وفيه مطلبان

المطلب الأول: التجديد سنة واقعية

المطلب الثاني: التجديد واجب شرعي

المبحث الثالث:ضوابط التجديد وفيه مطلبان

المطلب الأول: ضوابط المجدد

المطلب الثاني: ضوابط تجديد المادة التفسيرية

المبحث الرابع: التجديد بين دعاة الهدم ودعاة البناء

خاتمة البحث: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات ومراجع البحث

أما عن منهج البحث: فإنه يجمع بين المنهج الوصفي والتحليلي، ويعتمد على التأصيل والتوثيق، والتحليل والاستنباط.

واللهَ تعالى أسأل أن يوفقني لما يحبه ويرضاه وأن يتقبل عملي خالصًا لوجهه الكريم.

التمهيد

أول ما يعنى به كل باحث في مطلع كلامه أن يوضح المراد من بحثه ، ويحدد ما يتعلق به من جزئيات وتفاصيل ، حتى تتضح معالمه كلها للناظرين والمطالعين ، ومن ثم فإن معالم ومطالب هذا البحث – والتي أريد أن أنوه إليها – متعددة وهي كما يلي :

أولًا : مفهوم التجديد

أولاً: التعريف اللغوي : لفظ "التجديد " مشتق من الفعل الرباعي "جدد" يقال : جدد يجدد تجديدًا، فهو مجدد، والمفعول مجدَد ، ومنه قولهم : جدَد الأديب ، أي جاء بالجديد وأبدع وابتكر ، وجدَد الشيء : صيره جديدًا حديثًا .

وأصل المادة : القطع ، فقولهم ثوب جديد ، كأن ناسجه قطعه الآن، ثم سمي كل شيء لم تأت عليه الأيام جديداً ، ولذالك يسمى الليل والنهار بالجديدين لأن كل واحد منهما إذا جاء فهو جديد[(١)].

وعليه فالتجديد في اللغة يعني (الإتيان بما ليس مألوفًا أو شائعًا، كابتكار موضوعات أو أساليب تخرج عن النمط المعروف والمتفق عليه جماعيًا ، أو إعادة النظر في الموضوعات الرائجة ، وإدخال تعديل عليها بحيث تبدو مبتكرة لدى المتلقى) [(٢)].

ثانياً: التعريف الاصطلاحي :

مما تجدر الإشارة إليه هنا – قبل ذكر التعريف الاصطلاحي – أمران :

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٣/ ١١١.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة د/ أحمد مختار عمر ١/ ٣٤٩.

الأول : أن التجديد نوعان ، عام يشمل الشريعة كلها ، وهو ما يسمى بـ"تجديد الفكر الإسلامي " وليس هذا محله ، وتجديد خاص يتعلق بفن أو بعلم معين ، كالتفسير والفقه ..ونحوهما ، وهذا محل بحثنا.

الثاني : أن التجديد بمعناه الخاص له مفهومان ، الاصطلاح الشرعي المنضبط ، وهو الذي شرعه الإسلام ودعا إليه ، وهذا يحتوي على ثلاث نقاط مهمة ، حيث عرف التجديد التفسيري في الاصطلاح الشرعي : بأنه إعادة رونق التفسير وصفائه بعد تنقيته ، وإحياء ما اندرس منه ، ونشره بين الناس بلغة العصر ،فهذه ثلاثة محاور للتجديد التفسيري الشرعي المنضبط .

وأما التجديد بالمفهوم الآخر(غير المنضبط وغير الصحيح) فمعناه : الانقضاض على التراث التفسيري وثوابته وكلياته ، وهدمها وبنائها بناءً جديدًا بنفسية المهزوم لموافقة ما تدعو إليه الحضارات المسيطرة على الإسلام والمسلمين ، بمعنى أن التفسير – أو الإسلام عمومًا – صار باليًا وقديمًا فلابد من إيجاد مفاهيم وقواعد و أحكام جديدة في الدين بحيث تتناسب وتتماشى مع الحضارة العالمية الغربية المعاصرة ، التي فيها العلو للغرب والهزيمة والانكسار للمسلمين ، فإذاً شتان بين نوعي التجديد ، فالأول للبناء ، والثاني للهدم و الإزالة[١] .

وبناء على ما ورد في المفهوم الأول ، يكون المقصود بالتجديد التفسيري هو : (استلهام آيات القرآن الكريم التوجيه والهداية في كل شؤون حياتنا ، مما يمس العقيدة أو الأخلاق ، أو يدخل في بناء مجتمعنا وسياستنا ... بما يكشف عن وفاء القرآن الكريم بحاجة البشر وفاءً لا يعوزها إلى غيره من طرائق الهدايات) [٢].

---

(١) التجديد مفهومه وضوابطه أ/ حسن محمد شبالة ص ١، ٢ بتصرف . مقال منشور على الشبكة العنكبوتية موقع شبكة النور. المختار الإسلامي.

(٢) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم د/ محمد إبراهيم الشريف ١٤٨ بتصرف.

لكن ينبغي أن لا نستلهم من النص القرآني هذه الهدايات بخلفيات سابقة ، وأفكار متوارثة ، واعتقادات سائدة غير صحيحة، بل (نأخذ من النص ما يمنحه لنا من قيم ، وما يدل عليه من آراء ومعتقدات ، وما يوحي به من أفكار علمية أو اجتماعية ، حتى ولو لم تتفق مع ما نعلمه من ذلك ، وهذا واجب أهل القرآن ودارسيه والمتصلين به، الذين ينبغي أن يبينوا موقف القرآن من الآراء والأفكار والمذاهب الجديدة ، ويعطي كلمته الفاصلة في آثارها الخطيرة على أفكار الأمة وعقائدها وسلوكها وسائر شؤون حياتها) [(١)].

ونلحظ من خلال ما سبق أن مصطلح " التجديد " يستلزم عدة أمور :

أولها : أن هذا الشيء المجدَد كان في أول الأمر قائمًا وموجودًا وللناس به عهد سابق .

ثانيها : أن هذا الشيء أتت عليه الأيام فأصابته بالبلى، وصار قديمًا خلقًا .

ثالثها : أن ذلك الشيء قد أعيد إلى مثل الحالة التي كان عليها قبل أن يبلى ويخلق(٢).

ومن خلال ذلك كله يمكننا أن نستخلص تعريفًا جامعًا مانعًا للتجديد التفسيري وهو: (التوجه إلى التفسير وتنقيته من البدع ، وإحياء ما اندرس منه وإبراز هدايات القرآن ، وتنزيلها على واقع الناس مع مخاطبتهم بلغة عصرهم) .

وأود أن أنوه هنا إلى شئ مهم ، وهو أن التجديد المقصود هنا لا يعني إغفال التراث السابق لعلمائنا –رحمهم الله – وإنما أعني به أمرين :

الأول : إبراز مقاصد القرآن ، مع البعد عن كل دخيل وباطل ، لا يليق وتفسير كلام الله تعالى .

---

(١) السابق نفسه.

(٢) التجديد في التفسير.نظرة في المفهوم والضوابط د/ عثمان عبد الرحيم ص ١٤ بتصرف.

الثاني : تجديد لغة العرض مع اتسامه بالبساطة والسهولة، والإثارة والتشويق ، والوقوف على تقنيات العصر الحديثة ، ومحاولة الإفادة منها قدر الإمكان، ويقتضي ذلك تنزيل التفسير وأحكام القرآن على واقع الأمة لعلاج قضاياها ومشاكلها ، مع التماس المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزول القرآن ، والحذر من تأثير المفاهيم المحرَفة التي حدثت بعد عصر التنزيل [١].

كما ينبغي أن نعلم أن التجديد التفسيري لا يعني إخضاع الآيات القرآنية – كما يزعم بعض المرتزقة ودعاة العصرنة والحداثة – لهذا التطور في الأفكار والأراء الجديدة ، أو نجعل القرآن لقمة سائغة لكل هوى ، فهذا هو التطاول على القرآن ممن أصابتهم لوثة الظهور بمظهر المجددين ، وهم في الحقيقة متحررون، لهم من القدرة والجرأة معا على تأويل القرآن ما يساعدهم على تلبية كل الحاجات ، ولا مانع عندهم من أن تساير الآيات القرآنية اليوم وضعًا قد تنقضه المستجدات في الغد القريب أو البعيد[٢].

ولعلي بهذه الإطلالة أكون قد أوضحت المقصود بمصطلح " التجديد التفسيري " لغة واصطلاحًا، وبينت المراد به ، مع الإلماحة لبعض الاتجاهات والدعوات الهدَامة، والآن إلى معرفة موقف الإسلام من التجديد ، ومدى موافقته أو مخالفته لمثل هذه المحاولات التجديدية :

ثانيًا : موقف الإسلام من التجديد

نعيش سويًا من خلال هذا المطلب مع مباركة الإسلام لمثل هذه الخطوات الجادة النافعة للناس في كل عصر ومصر، والتي تجدد للناس دينهم على يد بعض الصالحين المخلصين .

---

(١) التجديد في التفسير د/ يحيى شطناوي ص ١٣.
(٢) نحن والقرآن أ/ محمد عبد الله السمان ص ٦٦ بتصرف.

هذا وإن الناظر في النصوص الشرعية – قرآنًا وسنة – يجد أنها قد حضت على ذلك ورغبت فيه ، فمثلًا نجد في القرآن كثيرًا من الآيات اشتملت أو ختمت بما يدعو إلى التعقل والتدبر بما يزيد على السبعين آية ، فلو كان المراد هو الوقوف عند أقوال المفسرين السابقين وعدم الزيادة عليها ، فلأي معنى يكون تنوع الحض على التدبر والتعقل ؟ وأي مغزىً من ورائها إذا كان المراد هو الجمود والتحجر على مثل هذه الأقوال ، وعدم البحث عما ورائها ؟!

ومن ثم فلينظر القارئ للقرآن نظرة مجردة لكلام الله تعالى – دون خلفيات سابقة تبعًا لأحد المفسرين – متأملًا متدبرًا قوله تعالى :" **كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ**" [ص :٢٩] وعلى هذا فينبغي للمسلم أن لا يجعل نفسه أسيرًا للأقوال التفسيرية، وينقل النقول تلو النقول، بل ينبغي أن يخلي بينه وبين النص القرآني – بعد أن يكون قد وقف على الغريب من كلماته وما يعين – وينظر متفكرًا في معانيه، ويستجلي بنفسه بما يمن الله تعالى عليه ويفتح به من أسرار كتابه ، فالله عز وجل قال: "**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**" [القمر :١٧] ، ولا يصدن الشيطان الواحد منا حينما يقف متأملًا فيما يقرأ ، فيقول القارئ منصرفًا عن التلاوة والتدبر : وأين أنا من فلان وفلان من المفسرين ؟! فرُبَما يفتح له بما لم يفتح للسابقين من العلماء، ذكره صاحب "النبأ العظيم" قوله عن القرآن الكريم :

(خذ نفسك أنت بالغوص في طلب أسراره البيانية .. فإن يعمي عليك وجه الحكمة في كلمة منه أو حرف فإياك أن تعجل كما يعجل هؤلآء الظانون ولكن قل قولًا سديدًا هو أدنى إلى الأمانة والإنصاف، قل : " الله أعلم بأسرار كلامه، ولا علم لنا إلا بتعليمه"، ثم إياك أن تركن إلى راحة اليأس فتقعد عن استجلاء تلك الأسرار ، فرُبَ صغير مفضول قد فطن إلى ما لم يفطن إليه الكبير الفاضل ، ألا ترى إلى قصة ابن

عمر في الأحجية المشهورة [١] فجدَ في الطلب وقل : رب زدني علما ، فعسى أن يفتح الله لك بابًا من الفهم تكشف به شيئًا مما عمي على غيرك ، والله ولي الذين آمنو يخرجهم من الظلمات إلى النور) [٢].

وإذا كان القرآن الكريم قد حض على التجديد بصورة غير مباشرة فإن السنة النبوية قد صرحت به ، فقد ورد في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) [٣].

وهذا الحديث هو الأوحد في السنة النبوية المطهرة الذي صرح بلفظ التجديد – وإن كان هناك أحاديث أُخر تشابهه في معناه إلا أنها لم تصرح بلفظ التجديد — فهو بمثابة بشرى من الله تعالى لهذه الأمة بحفظ دينها، فكأنه سبحانه قد تكفل ببعث من يجدد لها ما اندرس من دينها ، ومحاربة ما انتشر فيه من بدع ، ويدخل في ذلك (علم التفسير) فيُنقى مما علق به من إسرائيليات، مع تطويع لغته ومسائله، وجعلها مواكبة للمستجدات العصرية ، كما تكفل سبحانه بحفظ كتابه فقال تعالى :" **وَقالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦) لَوْ مَا تَأْتِينا بِالْمَلائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧) مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَما كانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ (٨) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ (٩) وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ (١٠)**"[الحجر : ٦-١٠] .

---

(١) يشير إلى القصة المشهورة المشار إليها في الحديث المتفق عليه عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وإنما مثل المسلم ، فحدثوني ما هي ؟ قال فوقع الناس في شجر البوادي . قال عبدالله : فوقع في نفسي أنها النخلة ، ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله قال : هي النخلة) رواه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم برقم ٦٢.

(٢) النبأ العظيم د/ محمد بن عبدالله دراز ص١٦٥.

(٣) سبق تخريجه ص٢.

(والحديث يمنح المسلم طاقة من الأمل الأكيد بأن المستقبل للإسلام ، مهما تكاثرت قوى الشر ، ونحن اليوم بحاجة ماسة إلى تأكيد هذا المعنى و نشره بين الناس،حتى نقاوم موجات اليأس والقنوط التي عجت و فشت بين الناس ، فجعلتهم يستسلمون للخنوع والذل ، بحجة أننا في آخر الزمان) (١).

ولن نقف مع المعلقين على الحديث طويلا – فليس هذا محله – بل نكتفي بهذه الكلمة الإجمالية لبعض الشراح حيث يفيد أن التجديد عام في جميع العلوم وجميع العصور فيقول :

(والأوْلى الحمل على العموم فإن لفظة "مَن" تقع على الواحد والجمع ، ولا يختص بالفقهاء فإن انتفاع الأمة بهم – وإن كان كثيرًا – فانتفاعهم بأولي الأمر وأصحاب الحديث والقرَاء والوعاظ والزهَاد أيضًا كثير ، إذ حفظ الدين وقوانين السياسة وبث العدل وظيفة أولي الأمر ، وكذا القراء و أصحاب الحديث ينفعون بضبط التنزيل و الأحاديث التي هي أصول الشرع وأدلته ، والوعاظ ينفعون بالوعظ والحث على لزوم التقوى .... إلى أن يقول : هذا و الأظهر عندي – والله أعلم – أن المراد بمن يجدد ليس شخصًا واحدًا ، بل المراد به جماعة يجدَد كل واحد في بلد في فن أو فنون من العلوم الشرعية ما تيسر له من الأمور التقريرية أو التحريرية ، ويكون سببًا لبقائه وعدم اندراسه وانقضائه إلى أن يأتي أمر الله) (٢).

ولعل من التوفيق والسداد أن يحمل الحديث على العموم ، وأن لا يخصص بقوم أو زمن أو فن معين.

---

(١) التجديد في الفكر الإسلامي د/عدنان محمد أمامة ص ٥٥.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن علي بن (سلطان) الملا القاري ٣٢١,٣٢٢/١.

المبحث الأول: التجديد ومقاصد القرآن

إن أهمية التجديد تنبع أساسًا من إزالة ما علق بالتفسير من أفهام بشرية خاطئة، تمامًا مثل النهر الذي تعلق به رواسب تكدر عذوبته، فإذا تم التخلص منها عاد النهر لعذوبته ونقاوته.

وتلك الأفهام البشرية شغلت القارئ عن المقاصد العالية والهداية السامية التي أنزل القرآن من أجلها، وكانت بمثابة الحاجز دون الوصول لتلك البغية.

وإن نظرة سريعة على كتب التفسير بشكل عام ستظهر للقارئ بأنها تحوي أشياء كثيرة ليست من صلب التفسير، الأمر جعل الغيورين من أبناء هذه الأمة ينادون مطالبين بضرورة تنقية كتب التفسير مما شابها لكونها تؤثر على مقصد القرآن في الهداية، **ومن ذلك قول صاحب تفسير المنار**: "أكثر ما روي في التفسير المأثور أو كثيره حجاب على القرآن وشاغل لتاليه عن مقاصده العالية المزكية للأنفس المنورة للعقول، فالمفضلون للتفسير المأثور لهم شاغل عن مقاصد القرآن بكثرة الروايات التي لا قيمة لها سندًا ولا موضوعًا، كما أن المفضلين لسائر التفاسير لهم صوارف أخرى ثم قال: "فكانت الحاجة شديدة إلى تفسير تتوجه العناية الأولى فيه إلى هداية القرآن على الوجه الذي يتفق مع الآيات الكريمة المنزلة في وصفه، وما أنزل لأجله من الإنذار والتبشير والهداية والإصلاح..." [(١)] .

وقال الأستاذ محمد الصادق عرجون: "وفي العقيدة وهي أصل الأصول التي نزل القرآن لتثبيت دعائمها اتخذ جمهور المفسرين، الذين لهم عناية بهذا الجانب الفكري من مقاصد القرآن، حصائل الفكر البشري قديمها وحديثها في أعصرهم ميدانًا لبحوثهم

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا ١/١٠.

وألقوا بها في خضم الدراسة القرآنية على أنها تفسير لهذا الجانب من هذا الكتاب الكريم، وقد كان لاقتحام هذه الحصائل الفكرية على حمى القرآن أثرها المعوق على تبيين الهداية الإلهية بطريقة القرآن الخاصة في البرهنة على قضايا العقيدة، ودحض شبه المبطلين" (١) .

والأمر ذاته أقضَ مضجع الشيخ محمد الغزالي الذي كان يدعو- وفي كل مناسبة – إلى ضرورة النظرة الشمولية للرؤية القرآنية واستبعاد النظرة الجزئية وعدم إسقاط الفهوم البشرية على آي القرآن، وكان يطالب بالعودة إلى روح القرآن وتنقية كتب التفسير مما شابها، ومن كلماته في ذلك: "التفسير القرآني ابتعد عن روح القرآن ومقاصده، فالمحاور القرآنية بشكل عام، لم تجد من يتبناها ويمشي مع آفاقها لكي يحققها في الحياة، بل بالعكس، الأسلوب الفقهي تغلب على أنواع البحث التي كان يجب أن تبتكر في الميادين الأخرى..." (٢).

والتجديد الذي نقصده لا يكون في مسائل العقيدة والأحكام التي ورد فيها النص بالنهي أو الإيجاب أو الندب، قال تعالى :"**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لَا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**" [الأنعام: ١١٥]، فما كان حقًا وعدلًا ومصلحة لا يصير بمرور الزمن أو اختلاف البلاد وتغير الأعراف باطلًا وظلمًا ومفسدًا (٣).

إن التجديد قانون الحياة ولا يمكن تصور حياة بدون تجديد لأن الزمن مركب من التغير والاستمرار، وليس هذا علامة ضعف أو نقص، وإنما الخلل يأتي من عدم التوازن بين

---

(١)نحو منهج لتفسير القرآن، محمد صادق عرجون ص ١٤، ص ١٨.
(٢)كيف نتعامل مع القرآن، الشيخ محمد الغزالي ص ٤٢.
(٣) الشريعة ومفهوم التطور، العروسي ص ١٩٥ .

الطرفين [١] ، وهو في الوقت ذاته قضية ذات جذور تاريخية ليست مبتدعة، فالإحياء الحضاري والتصويب الفكري والنهوض بالأمة أمور قامت على أكتاف علماء الأمة السابقين على مر العصور ابتداء بعمر بن عبدالعزيز والشافعي ومرورًا بالغزالي.. وانتهاء بالأفغاني وإقبال والمودودي وغيرهم، ومازالت عجلة التجديد تدور[٢] .

يقول الدكتور شريف: "وإذا كان القرآن هو آخر الكتب السماوية المنزلة، والمقدر له أن يظل مهيمنًا على شؤون حياتنا جميعها، كيف يمكن أن يوهب له الخلود إذا كان فهمه منذ بضعة عشر قرنًا يجب أن يبقى إلى اليوم؟ وماذا في ما يعترض حياتنا من جديد وهي بطبيعتها نامية متطورة؟ وفي كل يوم تجدَ أمور وتبتكر عقول؟ ، القرآن إذن ما زال بحاجة إلى مزيد من البحث النظري، وما زلنا في حاجة إلى تفاسير جديدة للقرآن في كل زمان ومكان، مادام القرآن جديدًا دائمًا ومادامت جوانب الهداية فيه مكنونة لم تنفلق عنها أصدافها حتى كأنه لم يفسر بعد" [٣] .

وعليه نستطيع القول بأن المعارضين للتجديد اختاروا الطريق الأسهل والأيسر.

ولذا فمن الضروري أن ينظر المفسر في نصوص القرآن بروح جديدة، ولابد من معايشة القرآن واستنطاق آياته من قبل أهل الاختصاص لكشف الأسرار وإماطة اللثام عن إشارات القرآن وتلميحاته المخبوءة في مخلوقات الله قال تعالى :"**سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴿ "[فصلت:٥٣]

إن الدين يتقدم مع الحياة يدًا بيد ولا يواكبها فقط كتابع لها، وإنما له دور بارز في التمييز بين التغير السليم وغير السليم، وبين التحول النافع للبشرية من الضار[٤].

---

(١) الإسلام في عالم متغير، أبو الحسن الندوي ص ٥٦ .
(٢) إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، طه جابر العلواني ص ٣٣.
(٣) اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، شريف ص ١٨٩.
(٤) الإسلام في عالم متغير، الندوي ص ٥٨

المبحث الثاني: التجديد سنة واقعية وواجب شرعى

التجديدُ سنةُ الله في الكون، فالماءُ من حولِنا يتجددُ، والهواءُ الذي نستنشقُه يتجدد، وخلايا الإنسان تتجدد، والأيامُ والليالي تتجدد، حتى يقال عنهما الجديدان، والأنهار تتجدد، والأشجار تتجدد، فالتجديد من سنن الله في الحياة. ولقد جُبِلَتِ النُّفُوسُ على حبِّ الجديدِ والتعلُّقِ به.

والتجديد والتغيير والتداول هو سنَّة الله تعالى في الأمم والشعوب والنُّظُم والحضارات، قال سبحانه:"**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثالَكُمْ**" [محمد: ٣٨]. وهذا المبحث يتلخص في مطلبين :

المطلب الأول: التجديد سنة واقعية

علمنا فيما سبق أن الإسلام بمنبعيه الصافيين يحض على التجديد، ويبارك الخطوات الجادة في ذلك، والمنضبطة بالضوابط الشرعية، ومن ثم سنقف الآن على مدى حاجة مجتمعاتنا اليوم إلى مثل هذه الخطوات التجديدية .

هذا وإن الناظر في واقعنا المعاصر يجد أن الحاجة باتت ماسَة بالنسبة للتجديد التفسيري، وأصبح ذلك ضرورة ملحة دعت إليه عدة دواع ، منها ما سأذكره في السطور التالية:

الأول : اختلاف المسلمين، وانقسامهم إلى فرق وأحزاب متعددة،ودأبت كل فرقة على استمداد مشروعيتها من النص ، فلا تقبل فكرة أو دعوى ما لم يشهد لها النص بالصلاحية ، ولذلك نرى الكل يلوذ بالنص، ويلجأ إليه لاستمداد المشروعية.

الثاني : الجمود الذي غطى طويلًا على الحياة الفكرية ، والركود في حياة التفسير الذي أصاب فهم القرآن والدين بكثير من التجاوزات والأخطاء الفادحة التي تؤدي إلى طرق منحرفة مدمرة ، بحيث صار القرآن عندهم مرتبطًا بما في عقولهم من

معتقدات باطلة ، ومذاهب مزيفة ، فتاهوا وضلوا عن غايته ، فاقتضى الأمر لنهضة تفسيرية تجديدية تنأى عن كل ذلك [١].

الثالث : سيادة التقليد الأعمى وغياب الاجتهاد لفترات طويلة من الزمان ، الأمر الذي ظل العلماء معه – إلا من رحم الله – يرددون الأفكار والآراء المتوارثة ، ولم يستطيعوا تعميق الإيمان وحب القرآن في القلوب والعقول ، مما جعلها تتصف بالخواء والفراغ ، وأوجد لديها قابلية الغزو الفكري والثقافي بعد الانهزام العسكري والسياسي، وهو ما جعل المفكرين والدعاة – منذ قرن أو يزيد – يتساءلون عن أسباب تخلف هذه الأمة وانحطاطها ! [٢] وقد بات الحل في العودة الصادقة للقرآن والسنة ، مع الفهم والتطبيق الصحيحين البعيدين عن أي شطط أو زيغ المنضبطين بالضوابط التي سنها العلماء في شأن التجديد ، مما سنعرض له.

وقد اتسم هذا العصر بتقدم كبير في شتى مجالات العلم، وكثرت المخترعات، وتزاحمت الإنجازات الماديّة، وسهلت وسائل الاتصالات وسبلُ المواصلات التقارب بين الأمم والتعارف بين الشعوب، مما يسر سبل الدعوة ودعم وطور من وسائلها، وضاعف من قدر التبعة وحجم المسؤولية على عاتق العلماء وكاهلِ الدعاة بوجه عام، والباحثين والدارسين في ميدان التفسير بوجه خاص؛ إذ إنَّ هذا التطور يستوجب نهضة في أساليب المفسرين وطرائقهم، وتطورًا في مناهجهم، يواكبُ متطلبات هذه المرحلة وواجبات هذا الوقت، كما يواجهُ التحديات التي تعترض طريق أمتنا وتعطل مسيرها نحو أهدافها.

---

(١) اتجاهات التجديد د/ شريف صـ١٤٧ بتصرف .

(٢)اتجاهات التجديد ومناهجها في تفسير القرآن الكريم وموقع منهج الدراسة المصطلحية منها د/ البوزي صـ٢ بتصرف

هنا يأتي دورُ المفسر في هذا المعترك ويبرز دوره الحيوي، حيث مواجهة التحديات، وتذليل الصعوبات، وإزاحة العوائق، وشحذ الهمم، وتنوير الأذهان، بهذا الزاد الرباني، قال تعالى:"**فَلا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَجاهِدْهُمْ بِهِ جِهاداً كَبِيراً** "[الفرقان: ٥٢] فالقرآنُ وسيلة من وسائل الصمود، وأسلوب من أساليب المواجهة، وهو أمضى سلاح في صراعنا مع الباطل، ولقد أدرك أعداؤنا منزلةَ القرآن وعظمته وأثره الفعَّال في نفوسنا ومجتمعاتنا؛ لذا وجهوا حوله السهام، وقد بدا ذلك في تصريحاتهم، وما انكشف لنا من تآمرهم وتواصيهم شأن أسلافهم من المشركين الذين أشعلوا نار هذه المعركة منذ بزوغ فجر الإسلام، ولقد سجَّل القرآن الكريم ذلك في آيات كثيرة نذكر منها على سبيل المثال، قوله تعالى:"**وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذاباً شَدِيداً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ "[فصلت:٢٦،٢٧].

المطلب الثاني: التجديد واجب شرعي

التجديد سمة من سمات هذا الدين، بل فريضة شرعية، دعا إليها الإسلام ورغب فيها وبين الحكمة التي تنطوي عليها، وهي تجديد الإيمان في القلوب، فضلا عن مواجهة النوازل ومواكبة المستجدات، التي تحتاج إلى بحث دقيق ودراسة واعية في ضوء الكتاب والسنة.

أولاً: أدلة من القرآن على وجوب التجديد: في القرآن الكريم آياتٌ عديدة تحمل دعوة للتجديد لمواكبة العصور ومواجهة النوازل بما يناسبها من الأحكام المستنبطة والفوائد المستخلصة من كتاب الله تعالى الذي أنزله مناسبا لكل العصور قال تعالى :"**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيرا**"﴾ [النساء: ٨٢]. ففي هذه الآية دعوةٌ إلى تدبر القرآن للانتفاع بهديه، وجاء التعبير بالفعل المضارع الدال على الاستمرارية، والتجدد، حيث التدبر المستمر، وما يترتب عليه من تفتق المعاني وتجدد المواعظ، وزيادة الإيمان ورسوخِه، كما في قوله تعالى:" **وَكَذلِكَ أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً**" [طه: ١١٣] "... أي يجدد لهم القرآن عبرةً وعظةً فيعتبروا ويتعظوا بذكر عقاب الله للأمم الخالية"[(١)].

وقال تعالى:"**وَإِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ "[النساء: ٨٣] وفي هذه الآية دعوة إلى دراسة الواقع والرجوع إلى أهل العلم عند الفتن والنوازل، واستنباطِ الأحكام والعبر من القرآن لمواجهة هذه الفتن

(١) البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود (معالم التنزيل) ٢٩٧/٥.

ومجابهة النوازل، لا أن يشيعها العوام ويذيعوها فيحصل الخلل وتعم الفوضى ويشيع الذعر في المجتمع.

فالقرآن يدل المسلمين على الطريق الصحيح: أي لو أنهم ردوا ما يبلغهم من أنباء الأمن أو الخوف إلى الرسول صلى الله عليه وسلم إن كان معهم، أو إلى أولى الأمر المؤمنين، لعلم حقيقته القادرون على استنباط هذه الحقيقة؛ واستخراجها من ثنايا الأنباء المتناقضة، والملابسات المتراكمة. **والشاهد في هذه الآية الكريمة:** أن أولي العلم على دراية بفقه النوازل في ضوء الكتاب والسنة، ومن خلال فهمهم واستيعابهم للواقع الذي يعيشونه وهذا من ثمرة فهمهم للقرآن الكريم وتنزيل آياته على الواقع.

ثانياً: أدلة من السنة على ضرورةِ التجديد: جاءت السنة النبوية مقررة لما دعا إليه القرآن، فأكدت ضرورة التجديد وأهميته، وبينت طريقته وثمرته:

١. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا"[(١)]. ويستفاد من قوله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ" أن التجديد لصالح هذه الأمة؛ مراعاة لواقعها وتلبية لرغبات وطموحات المخلِصين من أبنائها، وليس اتباعًا لسَنَن أعداء الله ودخولا لجُحرِ الضبِّ، لهثًا وراء الأعداء، وتنازلا لهم، وشعورًا بالهوان والانهزامية.

وقوله: "يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا": أي يحيي السنن ويخمد البدع، وينزل النصوص الشرعية على واقع الناس، ويدعو الناس إلى التمسك بعُرى الدين والعمل بشرائعه، ومن هنا فلا حرج

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الملاحم باب ما يذكر في قرن المائة، حديث (٢٩١)، وقَالَ أَبُو دَاوُد رَوَاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شُرَيْحٍ الْإِسْكَنْدَرَانِيُّ لَمْ يَجُزْ بِهِ شَرَاحِيلَ، وأخرجه والحاكم في المستدرك كتاب الفتن والملاحم، ٥٢٢/٤.

من استعمال مصطلح تجديد الدين، كما لا حرج في استعمال مصطلح التجديد في التفسير.

٢. وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ" قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَكَيْفَ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا؟ قَالَ: "أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"(١).

ففي كثرة ترديد كلمة التوحيد باللسان، مع استحضارها في القلب، ومعايشتها بالفكر والوجدان، تجديد للإيمان وزيادة له وتعميق لأثره.

٣. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم قال: "إن الإيمان ليخلقُ في جوفِ أحدِكُم، كما يخلَقُ الثَّوبُ الخَلِقُ، فاسألُوا اللهَ أن يُجَدِّدَ الإيمانَ في قلوبِكم"(٢). وفي هذا الأثر بيانٌ لأهمية التجديد، ودعوة للاستعانة بالله تعالى على أن يجدد الإيمان في القلوب.

٤. وكان ابن مسعود رضي الله عنهم إذا رأى الشباب يطلبون العلم يقول: " كُونُوا يَنَابِيعَ الْعِلْمِ مَصَابِيحَ الْهُدَى أَحْلاَسَ الْبُيُوتِ، سُرُجَ اللَّيْلِ جُدُدَ الْقُلُوبِ ..." (٣).

فالتجديد سمةٌ من سمات أهل العلم والإيمان.

---

(١)المسند/ أحمد بن حنبل ، حديث (٨٦٩٥)، ٣٥٩/٢. وأورده الهيثمي علي بن أبي بكر بن سليمان في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٢٥/١. وقال: " رواه أحمد وإسناده جيد وفيه سمير بن نهار ووثقه ابن حبان"

(٢) أخرجه الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ٤٥/١ بنصه وقال: "هذا حديث لم يخرج في الصحيحين، ورواته مصريون ثقات".

(٣) رواه البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين ، شعب الإيمان، ٢٥٠/٤.

المبحث الثالث: ضوابط التجديد

لا شك أن التحديد في التفسير مسألة في غاية الحساسية؛ بل والخطورة أيضًا، فهي تعني ربط واقع الأمة وما استجد فيه من أحوال وقضايا في ضوء ما يستلهم من خطاب الله تعالى للبشرية، ولذلك فمن الضروري أن يتم التجديد في التفسير وفق ضوابط تحكمه وتجعله يسير وفق منهجية منضبطة بأصول التفسير وعلومه، لا سيما أن إطلاق القول بالتجديد في التفسير يحتمل وجوهًا ومفاهيم تختلف باختلاف المقاصد والثقافات.

ويزيد الأمر خطورة أن التجديد أصبح يطلق على أشكال من التعامل مع النص القرآني أقرب ما تكون إلى تحريف الكلم عن مواضعه، والتعدي على ثوابت الإسلام.

ووصل الأمر إلى حد أن استغل المستشرقون فقر التجديد في التفسير وحاجته إلى ضوابط تحكمه وأصول تجدده، في محاولة تشويه مفهوم التجديد، حين زعموا أن الإسلام نفسه يتطور، وأن موروثات القرون الجامدة فشلت في مسايرة المدنية وروح الحضارة العصرية، كما يشهد واقع المسلمين الهزيل، وأنه لا مفر من الخضوع لقانون التطور الحاكم للحياة لينجوا من أسباب الضعف، ولهذا فإنه يجب عليهم أن يجددوا الإسلام من خلال تطوير القرآن نفسه كمرجعية عليا، وحيث إن النص محفوظ مصون، ولا يجوز مساسه بحال، فيجب أن نساير العصر ونحن نفهم هذا النص فنتلقاه بروح العصرانية والتنوير وحرية الفكر[1].

لذلك لزم أن تكون لعملية التجديد في التفسير ضوابط تخص المفسر ذاته، وضوابط في ممارسة التجديد في التفسير.

---

(١) اتجاهات التجديد في العصر الحديث، د/ إبراهيم الشرقاوي ص ١٧٤.

المطلب الأول: ضوابط المجدد

المفسر المجدد هو: " من له أهلية تامة يعرف بها معنى كلام الله تعالى المتعبد بتلاوته بقدر الطاقة البشرية، وراض نفسه على مناهج المفسرين، وله اطلاع واسع على ما دونوه تفسيرًا للقرآن، ومارس التفسير عمليًا بتعليم أو تأليف" (١).

من خلال هذا التعريف مع ما ذكره العلماء سابقًا في تعريف التجديد وبيان ما يتعلق به، يمكن الوقوف على بعض ضوابط المجدد التي ينبغي توافرها فيه، حيث إن هذه الضوابط تعصم المفسر من الوقوع في الخطأ والقول على الله تعالى بغير علم، وهي كما يلي:

أولاً : إخلاص النية لله تعالى .

إذا كان إخلاص النية وصلاحها أمرًا مطلوبًا في جميع الأعمال والأقوال التي يقوم بها المسلم ، انطلاقًا من قوله تعالى:"**وَما أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ وَذلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾ [البينة: ٥]

وقوله تعالى:"**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ** "[الأنعام : ١٦٢]

وقوله صلى الله عليه وسلم : (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل أمرئ ما نوى ...)(٢)

فمما لا شك فيه أن صلاح النية أشد طلبا مما سواه، وذلك لأنه يتعلق بكلام الله تعالى ، وليعلم المفسر أنه لا يفسر منظومًا من الكلام أو منثورًا إنما يفسر أعظم الكلم وأشرفه، وليس الخطأ فيه كالخطأ فيما سواه، وبصلاح النية يتحصل المجدد على توفيق الله تعالى، وإلا أبعد النجعة، ونأى عمله عن التوفيق والسداد.

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين ، د / حسين الحربي ١ / ٣٣ بتصرف.

٢) أخرجه البخارى كتاب بدء الوحى، باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦/١) رقم ١

وفي ذلك يقول صاحب (الإتقان): (ومن شروطه صحة المقصد فيما يقول ليلقى القبول والتسديد، فقد قال الله تعالى:"**والَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**" [العنكبوت : ٦٩] ، وإنما يخلص له القصد إذا زهد في الدنيا لأنه إذا رغب فيها لن يؤمن أن يتوصل به إلى غرض يصده عن صواب قصده ، ويفسد عليه صحة علمه وعمله) (١).

ثانيا : صحة الاعتقاد وحسن العمل .

من أهم ما ينبغي أن يتصف به المجدد أن يكون صحيح الاعتقاد، سائرًا على منهج أهل السنة والجماعة، فهي الطائفة الناجية بإذن الله تعالى، المستمسكة بهدي النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعه من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين ، وسار على طريقهم عملًا وقولًا واعتقادًا (٢).

يقول الطبري : "اعلم أن من شرطه (أي المفسر) صحة الاعتقاد أولًا ولزوم سنة الدين، فإن من كان مغموصًا عليه في دينه، لا يؤتمن على الدنيا، فكيف على الدين؟(٣).

وبالنظر إلى مسيرة الحركة التفسيرية فإننا سنجد مدى أثر الضوابط الاعتقادية في سلامة المفسر وتفسيره، فلقد كانت صفحة التفسير في قرونها الأولى بيضاء نقية، وذلك حينما كان"يجري التفسير في زمن النبوة إلى زمن أتباع التابعين على طريقة تكاد تكون واحدة، وكل عصر يحمل تفسير من سبقه بطريق الرواية والسماع، وفي كل عصر تتجدد نظرات تفسيرية، وهذه النظرات لا تخرج عن كونها محاولات عقلية، ونظرات

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٤/٢٠٠.
(٢) التجديد في التفسير د/عثمان عبدالرحيم ص ٣٢ بتصرف.
(٣) جامع البيان ١/ ١٨.

اجتهادية في حدود قانون اللغة، وإطار الشريعة، ولم تتجاوز دائرة الرأي المحمود إلى دائرة الرأي المذموم الذي لا يتفق وقواعد الشريعة، وظل الأمر هكذا إلى أن ظهرت المذاهب المتنوعة [١].

ومع ذلك وجد من يحاول نصرة مذهبه من خلال إخضاع الآيات القرآنية له، والميل مع رأيه وهواه، وتأويل ما يصادمه منها بجعلها غير منافية لمذهبه، ولا متعارضة معه، ومن هنا بدأ الخروج عن دائرة الرأي المحمود إلى دائرة الرأي المذموم، واستفحل الأمر إلى حد جعل القوم يسعون في حماية عقائدهم، والترويج لمذاهبهم بما أخرجوه للناس من تفاسير، حملوا فيها كتاب الله على وفق أهوائهم ومقتضى نزعاتهم ونحلهم [٢].

ويكفي أن نعلم أن فساد العقيدة يؤدي إلى انحراف التفسير من ناحيتين:

الأولى: اعتقاد المفسر لعقيدة أو لرأي ثم يحمل القرآن عليه ليستدل به على صحة مذهبه أو تأويله، لا سيما عن مصادقة النص القرآني لمعتقده[٣].

الثانية: أن فساد العقيدة يؤدي إلى انحراف الفهم وعدم سلامته عند النظر في الآيات والتأمل فيها فيلزم عنه فساد التفسير من باب اللزوم[٤].

ومن ثم فإنه "يستحيل أن يكون المفسر المجدد من غير الطائفة القائمة بأمر الله، المتبعة لشرعه، السائرة على هدي نبيه[٥].

---

(١) التفسير والمفسرون للذهبي ١/ ٣٦٤.
(٢) السابق نفسه ١/ ٣٦٥.
(٣) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٧٦.
(٤) بحوث في علوم القرآن، د / فهد الرومي ص ٧٨.
(٥) التجديد في الإسلام ،د/ البسطامي سعيد ص ٣٣.

ثالثًا : الوقوف على الحد الكافي من العلوم وخاصة الشرعي منها :

ينبغي للمجدد أن يكون على قدر عظيم من معرفته بالعلوم الشرعية التي تخدم كتاب الله تعالى ، كعلوم اللغة والاشتقاق والتصريف ونحوه.. ؛ لأنه في الأصل مفسر ومجدد، وعليه فينبغي أن يكون متصفًا – أو على الأقل على قدر كاف – مما اتصف به السابقون من قبله وزيادة، فيقدم التفسير القرآني على غيره، ثم النبوي، ثم أقوال الصحابة والتابعين .. فهذه أصول وثوابت لا يمكن إغفالها بحال .

وفي ذلك يقول صاحب "التيسير:" : (فمن تكاملت له هذه العلوم خرج عن كونه مفسرًا للقرآن برأيه ، ومن فاته بعض ذلك مما ليس بواجب معرفته، وأحسن من نفسه في ذلك واستعان بأربابه وأقبس منهم واستضاء بأقوالهم، لم يكن إن شاء الله من المفسرين برأيه ...) [(١)].

رابعًا : الإحاطة بقواعد التفسير وأصوله :

وقوف المجدد على ما دونه العلماء في التقعيد لعلم التفسير و ضبط أصوله أمر في غاية الأهمية، ذلك أن المفسر المعاصر يترجم عن الله بقدر اجتهاده ، ويتعامل مع كتاب الله المقدس، فالأمر ليس سهلًا ، كما أنه يعد في حد ذاته شكلًا من أشكال الاجتهاد ، وهذه الأشكال الاجتهادية تحتاج إلى علماء قد توافرت لديهم شرائط وأدوات النظر والتأمل، وأحاطوا بأصولهما وأسسهما، وليس إلى أشباه مثقفين يجترئون على القرآن فيقولون فيه بغير علم ، ويهرفون بما لا يعرفون ، فكتاب الله ليس مشاعًا يتحدث فيه كل من جرى بعقله خاطرًا أو لاح في نفسه معنى .

---

(١) التيسير في قواعد التفسير محمد بن سليمان الكافيجي صـ ١٤٨.

ومن ثم اشترط علماء التفسير في المفسر أن يكون " ملمًا بجملة من العلوم التي يستطيع بواسطتها أن يفسر القرآن تفسيرًا عصريًا مقبولًا ، فهذه الأدوات تعصم المفسر من الوقوع في الخطأ ، وتحميه من القول على الله بدون علم " [١].

وقد ذكر السيوطي هذه العلوم وأشار إليها وهي تشتمل على "علم اللغة، لأنه لا يمكن أن يبين المفردات ومدلولاتها وهو يجهل اللغة العربية " .

قال مجاهد : "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآحر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب وعلوم العربية من نحو وصرف وغيرها.. لأن المعنى يتغير ويختلف بإخلاف الإعراب، وأيضًا باختلاف البنية والصيغ والاشتقاقات، وعلوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع ، وعلم القراءات، وأصول الدين والفقه، وعلم أسباب النزول، وعلم القصص والناسخ والمنسوخ والأحاديث المبينة والمفسرة للمجمل والمبهم من القرآن [٢].

ومن العلماء من دمج بعض هذه العلوم مع بعضها فصارت أقل عددًا[٣]، وليس هذا العدد الذي ذكره السيوطي حاصرًا لجميع هذه العلوم التي يجب على المفسر الإحاطة بها، وإنما ذكرت هذه العلوم لأنها هي رأس العلوم الشرعية وأشهرها[٤].

خامسًا: علو الهمة:

فإن من بين أهم صفات الإنسان المؤمن "علو همته" لأنها دليل قيمته؛ فقيمة كل إنسان ما كان يحسنه، وهمة المرء أبلغ من عمله .. هي طريق عز الأمة ورشادها واستقلالها، هي منبع الخير، وبلسم الصلاح ، ودليل الإصلاح، وهذا يعني أن يكون

---

(١) التفسير والمفسرون للذهبي ١/ ٢٦٥ ، ٢٦٦.
(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/ ١٨٠-١٨٢ بتصرف .
(٣) مناهل العرفان للزرقاني ٢ / ٥١.
(٤) مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ص ٢١٨.

المجدد صاحب همة عالية، كما مر في الحديث "إن الله يبعث..... فكلمة"يبعث" تدل على أن المجدد ليس كسولًا ولا خاملًا ولا متوانيًا في خدمة كتاب الله تعالى؛ بل هو صاحب همة عالية وإرادة وعزيمة قوية، يسهر الليل ويتعب في النهار ويصل أحدهما بآخر ليحقق في المسائل ويبذل جهده ووقته وماله من أجل أن يجدد شيئًا من دين هذه الأمة، ويقدم لها الحلول القرآنية لما تعانيه من مصاعب، وتئن منه من مشاكل وآلام، فهو صاحب نشاط وعمل وحيوية وابتكار وإبداع(١).

والأمم لا تتقدم بالأماني ولا الرؤى والأحلام؛ وإنما بالعمل الجاد والهمة العالية في البذل والعطاء، والجهاد في درء المفاسد عنها. وإن سقوط الهمم حليف الهوان، وقرين الذل والصغار، وهو أصل الأمراض التي تفشت في أمتنا، فأورثتنا ذلة بعد عزة، ومهانة بعد كرامة، وكسلًا بعد عمل وإتقان، واستسلامًا لما يسمى بالأمر الواقع.

سادسًا: اعتقاد المجدد بعالمية القرآن وأنه صالح لكل زمان ومكان :

واعتقاد المجدد بعالمية القرآن الكريم وصلاحيته لكل الأزمنة والأعصار أمر في غاية الأهمية، حيث إن ذلك يبعثه على العمل بجد واجتهاد في أمر التجديد، ليقينه الكامل أنه لا صلاح ولا فلاح ولا تقدم للبشرية عامة، والأمة الإسلامية بخاصة إلا باتباع منهج ربها الذي رسمه سبحانه لها في هذا الكتاب الموصوف بمثل قوله تعالى "**تَبارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً**﴾[الفرقان: ١]

خاصة أنه قد تعرض الكثيرون في السنوات الأخيرة للهجوم بسبب نقدهم للنص القرآني فقد أسموه"تراث" ورأوا أن بعض الآيات القرآنية لا تناسب كل العصور ، وبعضهم يرى أن القرآن الكريم تعرض للعبث بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو كتاب ليس صالحًا لكل زمان ومكان.

---

(١) التجديد وضوابطه د/ شبالة ص ٣، ٤ بتصرف.

من هنا وجب على المجدد أن يعتقد بصلاح القرآن لكل الأزمنة والأمكنة، وأن الله قد تعبد البشرية بالعمل به والتحاكم إليه بعد نزوله، وهو يخاطب الإنسان في كل العصور، وفي كل البقاع.

فالنص القرآني معد للعمل في كل وسط، وفي كل تاريخ ، وليس فقط في وسط أولئك الذين عاصروا الحادث وشاهدوه فحسب؛ بل هو معد للعمل في النفس البشرية إطلاقًا بنفس القوة التي عمل بها في القرون الأولى، بشرط أن يوجد القلب الذي يتعاطف معه ويتجاوب.

فالقرآن الكريم لم يأت لمواجهة موقف تاريخي في مكان معين، وإنما جاء منهجًا مطلقًا خارجًا عن قيود الزمان والمكان منهجًا يتخذه المسلمون حيثما كانوا في مثل الموقف الذي تنزل فيه القرآن.

وبعد هذا العرض الموجز يمكننا القول: إن المنهج القرآني هو المنهج الوحيد الصالح والمصلح لكل زمان ومكان، فهو المنهج الذي ارتضاه الله لخلقه، وهداهم إليه وأمرهم باتباعه، فهو منهج أبدي غير محدود بزمان ولا مكان وإنما هو منهج لكل البشر في كل الأرض، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

المطلب الثاني: ضوابط تجديد المادة التفسيرية

بعد ما ذكرته آنفًا في حديثنا عن ضوابط المجدد في التفسير، كان ولابد من أن نتحدث عن ضوابط المجدَّد (المادة التفسيرية) وهي لا تقل أهمية عما سبق، وذلك لأن" الاقتصار على المفسر ووضع ضوابط له، لا يضمن بالضرورة انضباط التجديد إذا لم يلتزم المفسر نفسه بمنهجية أصيلة تقوم على أصول راسخة، وقواعد ثابتة ينضبط بها التفسير المعاصر، ويستقيم بها مبدأ التجديد [(١)]. فكم من مجدد في التفسير يدفعه نحو التجديد حسن النية، ويحدوه إليه صلاح الطوية، وتتوافر فيه شروط المفسر، إلا أن لم يكن ملتزمًا بمنهجية علمية، فجاء تجديده بعيدًا عن الصواب مع وقوعه في كثير من الهفوات .... ومن هنا تأتي أهمية ضوابط المادة التفسيرية ذاتها، وفي مقدمتها ما يلي:

أولًا: الجمع بين الرواية والدراية:

لقد شهدت ساحة التفسير من زمن مبكر تجاذبًا بين اتجاهين أصيلين في التفسير، هما تفسير الرواية (المأثور الصحيح) وتفسير الدراية (الرأي المحمود) ومعلوم أن تصادم الصحيح المنقول مع الصريح المعقول أمر محال في شريعتنا الغراء، وأن المسألة لا تعدو في نهاية الأمر أن تكون تغليبًا لاتجاه على آخر، ولا تعني إقصاء أو رفضًا للاتجاه الآخر. ذلك أنه لا يمكن بحال أن يستغني اتجاه عن الآخر لأنه —كما يقول الشوكاني في مقدمة تفسيره– "لا يتيسر في كل تركيب من التراكيب القرآنية تفسير ثابت عن السلف، بل قد يخلو عن ذلك كثير من القرآن، هذا بالإضافة إلى أن الذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيره للقرآن آيات قليلة، ولا يختلف على ذلك اثنان، كما لا يمكن إهمال سائر المعاني التي تفيدها اللغة، ولا إهمال ما يستفاد من العلوم التي

(١) التجديد في التفسير مفهومه وضوابطه د/ عثمان عبد الرحيم ص ٤٩ بتصرف

تأتي بها دقائق العربية وأسرارها كعلم المعاني والبيان والتفسير بذلك تفسير باللغة ليس محض الرأي المنهي عنه .. وبهذا نعرف أنه لابد من الجمع بين الأمرين وعدم الاقتصار على مسلك أحد الفريقين [١].

غير أنه يشترط في جانب التفسير بالرأي أن يجري على القواعد العلمية الموضوعة له، وهي الأخذ بمطلق اللغة العربية، مع مراعاة السياق الذي وردت فيه اللفظة أو الجملة القرآنية، وملاحظة أسباب النزول، واعتبار القرآن أصلًا يرجع إليه[٢]، وتقديم المعنى الشرعي على اللغوي عند النزاع[٣]، كما يشترط في الخواطر والاجتهادات التفسيرية أن تجري على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب، وأن يكون لها شاهد نصًا [٤]، وألا يكون الاجتهاد بعيدًا سخيفًا[٥].

ثانيًا: الموازنة بين النقل والعقل:

والمقصود بذلك هو عدم إطلاق العنان للعقل البشري، فيجول ويصول مع النص القرآني يفسره بما شاء، وكيفما شاء دونما ضوابط أو قواعد بدعوى التجديد، فيقع في مزالق ومخالفات، ويرتكب هفوات وزلات، نربأ بكتاب الله عنها، كما فعل كثير من رواد المدرسة العقلية الحديثة [٦].

---

(١) فتح القدير للشوكاني ١/ ١٢ وما بعدها.
(٢) مدخل إلى تفسير القرآن، عدنان زرزور ص ١٣
(٣) بحوث في أصول التفسير، د/ فهد الرومي ص ١٤٥.
(٤) مناهل العرفان ٢/ ٨٣.
(٥) السابق ٣ / ٢٩٥.
(٦) وذلك مثل الشيخ محمد جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده وغيرهما. يراجع في ذلك منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير د/ فهد الرومي ١ / ٢١٥ وما بعدها.

فمن المسلمات الشرعية أن النص القرآني هو المرجع وهو الحاكم في حياة المسلمين والعقل مصدر تابع له، والإسلام قد جعل للعقل حدودًا لا يتعداها؛ لأنه كغيره من الأعضاء له طاقة محدودة واختصاص معين ومن الخطأ والعبث أن يطالب بما فوق طاقته وأن يطالب كذلك بما هو خارج عن اختصاصه، فإذا حمل فوق طاقته كان نصيبه العجز والهلاك ، وإذا استعمل خارج نطاق اختصاصه حاد عن الصواب وكان نصيبه التخبط والانحراف.

يقول السفاريني – رحمه الله- : "فإن تسلط الفكر على ما هو خارج عن حده تعب بلا فائدة ونصب من غير عائدة وطمع في غير مطمع وكد في غير منجع[١].

ومن القواعد المعلومة في هذا الدين أن العقل مناط التكليف، وإذا زال العقل زال التكليف؛ فالتكليف يدور مع العقل وجودًا وعدمًا، وبالعقل يكون التفضيل لهذا الإنسان، كما بين ذلك القرطبي – رحمه الله – بقوله: "والصحيح الذي يعول عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف وبه يعرف الله ويفهم كلامه ويوصل إلى نعيمه وتصديق رسله إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعث الرسل وأنزلت الكتب فمثال الشرع الشمس، ومثال العقل العين، فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس وأدركت تفاصيل الأشياء[٢].

"فلا يصح إطلاق العنان للعقل في تفسير كتاب الله تعالى؛ لأن العقول تتفاوت فيما بينها، فما استحسنه عقل يستقبحه آخر، وما استحسنه العقل اليوم ربما يرفضه العقل نفسه غدًا، ومن ثم فلا يجوز لإنسان أن يحكم عقله أو يعطيه الصلاحية المطلقة

---

(١) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية ١ / ١٠٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٢٩٣.

للحكم على النصوص قبولًا أو رفضًا لمجرد قناعته أو رفضه، فإننا لا ننكر أن العقل مناط التكليف، وأنه شرط في معرفة العلوم والأعمال وصلاحها؛ لكنه لا يستقل بذلك، بل لابد من نور الوحي؛ لأنه غريزة في النفس، وقوة فيها بمنزلة قوة البصر من العين(١).

ثالثًا:عدم مخالفة إجماع الأمة:

ويقصد بذلك عدم مخالفة المفسر المجدد لما انعقد عليه إجماع الأمة من قطعيات وثوابت، والقطعيات ومواضع الإجماع هي التي أقام بها الله الحجة البينة في كتابه، أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، ولا مجال فيها لتطوير أو اجتهاد، ولا يحل الخلاف فيها لمن علمها (٢)، ومجال هذه الثوابت أو مواطن الإجماع في أغلب مسائل الاعتقاد، وأصول الفرائض، وأصول الأخلاق، وأصول المحرمات(٣).

رابعًا: الأخذ من التجديد بقدر الحاجة وبما يحقق الهدف:

وهو تبليغ معاني القرآن وإيصال هداياته للناس ، والحذر من الاندفاع والتوسع المتكلف الذي يؤدي إلى لَيِّ أعناق النصوص واعتساف التأويل (٤).

(١) التجديد في التفسير . نظرة في المفهوم والضوابط ص ٥٢ بتصرف .
(٢) الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي، د / صلاح الصاوي ص ٣٣.
(٣) السابق ص ٣٤.
(٤) تجديد التفسير في العصر الحديث د/ الجار الله ص ٢١ بتصرف.

المبحث الرابع: التجديد بين دعاة الهدم ودعاة البناء

التجديد في التفسير ضرورة عصرية لمواكبة روح العصر، وتلبية متطلباته، ومتابعةِ مستجداته، ومجابهة مشكلاته، والعودة به إلى منابعه الصافية، وموارده العذبة، ومصادره الأصيلة، ومقاصده العظيمة.

بيد أن البعض يظن التجديد دعوة إلى التخلي عن القديم، والاستغناء عن جهود المفسرين السابقين!

والابتداع والإحداث، وقد ورد النهي عنه كما في الصحيح عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ"(١).

وهناك من يستغل شعار التجديد ويرفع راياته لتسريب أفكاره الهدامة وتمرير أطروحاته الوافدة، فيدعو إلى الانفصام عن تراث السابقين، وفهم القرآن بما تمليه عليه أهواؤه وما يتناسب مع من تأثر بهم من أساطين الفكر الغربي الحديث.

وبدعوى التجديد نرى من يطعن في جهود العلماء ويبخس قدرهم، ويزعمُ أن الانسلاخ عن تراثهم هو ما تقتضيه الضرورة وتستدعيه الظروف الراهنة.

بالطبع لابد من تعايش المفسر مع واقعه المعاصر، وتفاعله مع قضايانا ومشكلاتنا الملحة، وأن يجعل من التفسير حصنًا ومنارًا به يلوذ به القارئ ويستضيء، كلما تشعبت به السبل، واستعرت نيران الفتن، وتلاطمت أمواج المحن.

---

(١)البخاري-محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة- (الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، كِتَاب الصُّلْحِ بَاب إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ حديث (٦٥٥٤). ومسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كتاب الأقضية، بَاب نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، حديث رقم (١٧١٨).

ما أحوجنا إلى أن نستلهم من هدي القرآن معالم حضارتنا وسبل نهضتنا، فالقرآن دستور الحضارة ومنهاج الحياة ونبراس المدنية ورحمة الله للإنسانية.

لما تمسك به أسلافنا بنو حضارة وارفة الظلال يانعة الثمار رائعة الآثار، ونشروا في ربوع الدنيا روح التسامح وأقاموا موازين العدل والإنصاف، رفعوا رايات التجديد وفق منهج وأصول منضبطة ومعالم واضحة وثابتة، مواكبة لروح العصر وتطوره، فالتجديد سنة كونية وطبيعة بشرية، وهناك من رفع شعار التجديد ناكبين عن صراط الحق، تارة باسم التحرير، وتارة باسم التطوير، وأخرى باسم التمدن والتنوير، وما هي إلا شعارات براقة يرددونها وكلمات رنانة يصيحون بها، فقد جعلوا من التجديد مطيةً لتحقيق أهدافهم والتي من أهمها:

•صرف الناس عن مصادر التفسير الأصيلة، وفتح باب الاجتهاد أمام كل ناعق بلا قيد أو ضابط.

يقول أحد دعاة التجديد: "من الحقائق التي يجب التسليم بها أن القرآن الشريف يجب أن يعاد النظر في فهم تعاليمه، وتطبيقها من عصر لعصر، بل من جيل إلى جيل، وعلى هذا لا بد من ظهور تفاسير جديدة متمشية مع روح العصر وتقدم العلم يؤلفها المطلعون الواعون من المفكرين"(١).

ويلاحظ أنه أسند مهمة التفسير إلى من هم على شاكلته من المفكرين المطلعين لا إلى العلماء الراسخين، بل يكفي لديه لمن يتصدر لمهمة التفسير أن يكون عصرانيًا تقدميًا مفكرًا! لا أن يكون على دراية بعلم أصول التفسير وقواعده وضوابطه.

(١) أحمد زكي أبو شادي (ت ١٩٥٥)، ثورة الإسلام، ص٣٥.

•الطعن في تفسير سلفنا الصالح وزعم أنه لا يصلح لهذا العصر، فلقد تشرب أصحاب هذا الاتجاه شبهات المستشرقين المتعصبين ممن طعنوا في تفسير السلف بدون وجه حق.

•الدعوة إلى فصل القرآن عن واقع الأمة وعزل الإسلام عن الحياة.

•التنكر لشرع الله وفطرة الإنسان وطبيعته والإعراض عن السنة النبوية، وقد قال الله تعالى في أمثالهم :"**وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَما أُولئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتابُوا أَمْ يَخافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**" [النور: ٤٧-٥٠].

•نبذ ما كتبه السابقون والانسلاخ عن تراثنا الأصيل.

•التقليل من شأن التفسير بالمأثور والطعن فيه.

•الدعوى بأن أحكام القرآن قابلة للتغيير.

•تأويل النصوص القرآنية بالأهواء والآراء المتباينة.

•"تبرير الواقع المعاصر لإدخال كثير من القيم الغربية في دائرة الإسلام: ذلك أن موقفهم من النصوص الشرعية عجيب، فإذا كانت الآية واضحة الدلالة، والأحاديث النبوية صحيحة: قالوا: إن هذه النصوص كانت لمناسبات تاريخية، لا تصلح لعصرنا الحاضر، وإذا كانت أحاديث آحاد: قالوا: لا يؤخذ من أخبار الآحاد تشريع ولا تبنى عليه عقيدة، أو قاموا بإلغاء بعض الأحاديث الصحيحة بحجة أنها سنة غير تشريعية ... ثم يتهمون الفقهاء بعد ذلك بالجمود وضيق الأفق"[(١)].

---

(١) العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب لمحمد حامد الناصر ،ص٢٥٧.

•دعوتهم إلى تجريد القرآن من قداسته والتعامل معه بجفاء وقسوة، والدعوة إلى التهجم عليه: كما قال طه حسين: "ليس القرآن إلا كتابًا ككل الكتب الخاضعة للنقد، فيجب أن يجري عليه ما يجري عليها، والعلم يحتم عليكم أن تصرفوا النظر عن قداسته التي تتصورونها، وأن تعتبروه كتابًا عاديًا، فتقولوا فيه كلمتكم، على أن يختص كل واحد منكم بنقد شيء من هذا الكتاب، ويبرز مآخذه عليه"(١).

•الاستهانة والسخرية من تراثنا القيم والدعوة إلى تبديد هذا الإرث الوافر.

يقول الفيلسوف زكي نجيب محمود: "وتسألني ماذا نحن صانعون بآدابنا ومعارفنا التقليدية فأجيبك بأنها مادة للتسلية في ساعات الفراغ! لم أعد أقول بأنها خليقة أن يقذف بها في النار"(٢).

وثَمَّة فريق آخر من الذين يرددون ما يُملى عليهم من قبل أعداء الإسلام، فهم أبواق وأذناب لهم، قد استهوتهم المدنية الغربية وسلبت عقولهم وخلبت أنظارهم على حد قول أحد المارقين المتيمين بالحضارة الغربية: "كلما ازددت خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامي أغراضي في الأدب كما أزاوله، وهي تتلخص في أنه يجب علينا أن نلتحق بأوروبا؛ فإنه كلما زادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له وشعوري بأنه غريب عني وكلما زادت معرفتي بأوروبا زاد حبي لها وولعي بها وشعوري بأنني منها هذا هو مذهبي الذي أعمل له طول حياتي فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب"(٣).

---

(١)مجلة الفتح، ٦/٦٤٦ نقلاً عن طاهر يعقوب، أسباب الخطأ في التفسير، ٢/٧٩٨ بتصرف .
(٢) جمال سلطان، غزو من الداخل، ص٤٠ نقلاً عن "وجهة نظر" لزكي نجيب محمود.
(٣) من مقدمة كتاب "اليوم والغد" لسلامة موسى. نقلاً عن الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر للدكتور محمد محمد حسين -رحمه الله-، ٢/٢١٢.

فمن حملة رايات التجديد من جلس على موائد الغرب حتى أُشرِبَ قلبُه بحبهم وأعلن الولاء لهم وكافح في مناصرة أهوائهم وكابد لتنفيذ مخططاتهم، وهؤلاء يصدرون عن فهم سقيم وجدل عقيم، ونظر قاصر، وفكر مسبق، وذوق مريض، وجهل بأصول الدين، فضلا عن فروعه، وعجز عن التعامل مع النصوص. وصدق الله تعالى إذ يقول:" **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها (٢٤) إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلى أَدْبارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلى لَهُمْ (٢٥) ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرارَهُمْ (٢٦) فَكَيْفَ إِذا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبارَهُمْ (٢٧) ذلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ (٢٨) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغانَهُمْ**" [محمد:٢٤-٢٩].

لكنَّ هناك من دعاة التجديد من يرفعون رايته وينادون به انبهارًا بما لدى الغرب وحرصًا على أن تنهض الشعوب الإسلامية من كبوتها وتصحو من رقادها، وأصحاب هذا التيار لم يسلموا من التأثر بالثقافات والنظم الغربية، ولم تسلم كتاباتهم من نزعة انهزامية، كما أنهم رفعوا شعار العقلانية والعصرانية على تفاوت بينهم.

ولا شك أن الإسلام قدَّر مكانة العقل وسما بمنزلته، كما أن شرائع الإسلام تواكب كافة العصور والأجيال، لكن أن يصل الحال إلى تقديس العقلِ والمغالاة في شأنه على حساب النقل، فهذا من إبعاد النُّجعة وسوء الاغتراب!

يقول الأستاذ جمال سلطان عن هذا الفريق: "ومنهم من يصدر عن حسن نية، محاولة منه في الاجتهاد، إلا أنه بقي مشدودًا إلى تصورات المناهج الغربية التي تلقَّاها

خلال دراسته أو ابتعاثه إلى ديار الغرب، أو ما يزال متأثرًا بأفكار المعتزلة، أو جمعت هذه كلها في عقليته فوقع في الاضطراب والخلل والتناقض"[١].

ويقول ناصر العقل: "إن الموفد إلى بلاد الغرب لأي سبب كان قد يصاب بما يمكن أن يسمى صدمة حضارية أو ثقافية، لا سيَّما إذا انتقل من بلاد تعاني من التخلف إلى بلاد متقدمة ... ويصاب بصدمة الانبهار وعقدة الشعور بالنقص"[٢].

ويقول الرافعي ردا على أدعياء التجديد: وإلى دعاة التجديد ومدعيه من الذين تأثروا بالغرب فحملوا راية التجديد بسوء نية وخبث طوية أو من الذي نحسن فيهم النية، ننقل هذه الكلمة للرافعي من كتابه تحت راية القرآن:

"أرأيتم الآن أيها الفضلاء جداً... أن الأمم في غنى عنكم، وأن حاجتها كلَّ الحاجة إنما هي إيمانها وقديمها، وأنكم لا تزالون منها ومن تاريخها وأسباب تاريخها إلا منزلة الثرثرة في المعنى الصريح من المعنى الصريح ... أتظنون أن التجديد لا يقوم إلا بالهدم، وهل يبلغ ما أنتم فيه من الحماقة وضعف البصر بعواقب الأمور وأسرار الأشياء وأن تقولوا أن البناء الجديد لا يكون إلا بعد هدم القديم وإزاحة أنقاضه وإقرار الجديد في موضعه؟ أم هو بناء بالكلام على أرض من الورق فكل ما جاء ليبنى بني وكلما جاء ليهدم هدم؟ أفلا تعلمون أن القديم لا يُهدم البتة؛ لأنه هو الذي يبدِع الجديد ويشقه، فإن هُدم في أمة من الأمم زال الجديد بزواله، ولم يبق من الأمة إلا بقايا لم تستمسك على حادثة ولا تقر على صدمة، وأن سنة الكون في الجديد بأنه ترميم في بعض نواحي

---

(١)محمد حامد الناصر (ت ١٤٣٤هـ) العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، ص١٧٧.

(٢)ناصر عبد الكريم العقل، المدرسة العقلية الحديثة، دار الفضيلة، السعودية، ص٥٤.

القديم وتهذيب في بعضها، وزخرفة في بعضها الآخر، وإلا لوجب أن يتجدد التركيب الإنساني والتركيب العقلي، وهو ما لم يقع ولن يقع منه شيء.

فالشأن في الجديد أن تتصل المادة الجديدة بالقديم فإذا هو هو، ولكن ببعض الزيادة، أو بعض الزينة أو بعض القوة ... المجدِّد أيها الفضلاء: جديدًا لا تخرجه للأمة إلا أقوى عناصر القديم متى اجتمعت فيه صحيحة متظاهرة، يمدّ بعضها بعضا ..."[1].

(١)مصطفى صادق الرافعي، تحت راية القرآن، ، ص٢١٠، ٢١١.

الخاتمة

أولًا: أن التجديد في الدراسات القرآنية أمر في غاية الأهمية، فمن خلال التجديد نؤكد للناس تجدد عطاء القرآن، وصلاحيته لكل زمان ومكان، ومواكبته لمستجدات العصر، وشموله لكل متطلبات حياتهم في العاجل والآجل، مع ضرورة تجديد الأمة تعاملها مع كتاب الله سبحانه فهمًا وتطبيقًا.

ثانيًا: ضرورة ضبط المحاولات التجديدية بالضوابط التي سنها العلماء في هذا الشأن، وإلا لقال في القرآن الكريم من شاء ما شاء.

ثالثًا: أصبح التجديد في التفسير ضرورة ملحة في العصر حيث التحديات التي تواجه الأمة، والواقع المرير الذي تكابده، والمستقبل المشرق الذي تستشرفه.

رابعًا: التجديد سمة من سمات هذا الدين؛ بل وفريضة شرعية دعا إليها الإسلام ورغب فيها وبين الحكمة التي تنطوي عليها وهي تجديد الإيمان في القلوب، فضلًا عن مواجهة النوازل ومواكبة المستجدات.

خامسًا: التجديد إنما هو لصالح الأمة، ومراعاة لواقعها وتلبية لرغبات المخلصين من أبنائها، وليس اتباعًا لسنن أعداء الله وتنازلًا لهم وتطويعًا للفتاوى حسب الأهواء.

سادسًا: التعامل مع كتاب الله سبحانه ينبغي أن يكون له خصوصيته من التقديس والتعظيم، وهذا ما دعا إلى ضرورة وضع الضوابط والاحترازات؛ لأن منطلقات التجديد في كثير من العلوم تقتضي هدم القديم بدعوى التجديد، وقد وقع بالفعل في ذلك طائفة من الناس ومنهم أصحاب القراءة المعاصرة للنص.

سابعًا: من يتصدى للتجديد لابد أن يكون على دراية كاملة بأصول التفسير وقواعده، ثم تحرير معنى الآية عند السلف ليتسنى له معرفة مجالات التجديد فيها.

ثامنًا: لابد من الاعتراف بخصوصية كل عصر، واختلاف الرؤى في ضوء المشكلات والمعطيات، ولا يعني هذا الانتقاص من القديم، بل البناء عليه.

هذه كانت بعض النتائج التى أسفر عنها البحث ، وإنى أوصي في نهاية البحث بعدة أمور :

١-أهمية تضافر جهود المخلصين من أبناء الأمة لخدمة التراث القرآني، وتجديدة بتنقيته من جميع ما لحق به من شوائب البدع والأوهام، والأفهام المغلوطة والأراء الموهومة التي لا يؤيدها دليل، ولا يسندها برهان.

٢-أهميةتضافر جهود التربويين والمفسرين وخبراء التقنية الحديثة للوصول إلى أفضل وسائل لتدريس التفسير، وتيسير وصوله لمن أرد تعلمه.

٣-على من يتصدى للعمل في هذا المجال – مجال الدراسات التجديدية في التفسير – يجب أن يكون على دراية واسعة بأصول التفسير وقواعده وتحرير آياته.

٤-تقريب كتب التفاسير وتيسيرها إلى أبناء جيلنا المعاصر ممن فقدوا العلم العميق باللغة وفنونها، مع ضرورة تقنين المقصود بتقريب هذه الكتب واختصارها حتى لا ينشأ جيل مقطوع الصلة بأمهات الكتب، فنجني عكس ما نريد.

٥- العمل الجاد على إيجاد نخبة من علماء الأمة للبدء في مشروع كبير لتفسير القرآن الكريم تفسيرًا علميًا يكون جامعًا لأهم العلوم، خاليًا من شوائب التفسير، رائدًا في مجالاته.

مراجع البحث

١- إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، طه جابر العلواني، مكتبة المنار، الأردن ط ٢، ١٩٩٢م.
٢- اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، د/ محمدإبراهيم شريف، دارالسلام بالقاهرة ، ط١ ٢٠٠٨م.
٣- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، فهد الرومي مؤسسة الرسالة، ط ١، الرياض، ١٩٨٦م.
٥- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.
٦- الإسلام في عالم متغير، أبو الحسن الندوي، دار مكتبة الحياة، بيروت.
٧- التجديد مفهومه وضوابطه أ/ حسن محمد شبالة مقال منشور على الشبكة العنكبوتية موقع شبكة النور. المختار الإسلامي.
٨- التجديد في التفسير.نظرة في المفهوم والضوابط د/ عثمان عبد الرحيم، طبعة وزارة الأوقاف الكويتية ضمن إصدارات مجلة الوعي الإسلامي، الإصدار الحادي عشر.
٩- التجديد في التفسير د/ يحيى شطناوي، بحث منشور بمجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث ج٦، العدد ٢٣ الصادر عن كلية الشريعة جامعة اليرموك بالأردن ٢٠١٠م.
١٠- التجديد في الفكر الإسلامي د/عدنان محمد أمامة، دارابن الجوزي بالسعودية ١٤٢٤هـ.
١١- التجديد في الإسلام ، د/ بسطامي محمد سعيد، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، ط ١، ٢٠١٢ م.
١٢- التفسير والمفسرون د/ محمد حسين الذهبي (١٣٩٨هـ) ، ط مكتبة وهبة بالقاهرة .
١٣- التيسير في قواعد التفسير محمد بن سليمان الكافيجي تح أ/ ناصر المطرودي ،ط دار القلم بدمشق ١٩٩٠م.
١٤- الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر، د / صلاح الصاوي، أكاديمية الشريعة بأمريكا، ط ١، ٢٠٠٩م.
١٥- الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة البخاري ، دار طوق النجاة، ط ١ ، ١٤٢٢هـ.
١٦- الجواهر في تفسير القرآن، طنطاوي جوهر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٥٠ هـ.

١٧- العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد حامد الناصر ط١ مكتبة الكوثر، الرياض، ١٤١٧هـ.
المدرسة العقلية الحديثة، ناصر عبد الكريم العقل دار الفضيلة، السعودية.
١٨- النبأ العظيم د/ محمد بن عبدالله دراز تح أ/ أحمد مصطفى فضيلة، دار القلم للنشر والتوزيع ٢٠٠٥م .
١٩- تجديد التفسير في العصر الحديث د/ الجار الله.
٢٠- تحت راية القرآن، مصطفى صادق الرافعي دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٨، ١٤٠٣ هـ.
٢١- ثورة الإسلام، أحمد ذكي أبو شادي، دار مكتبة الحياة ، بيروت، ١٩٥٥م.
٢٢- حوار لا مواجهة، أحمد كمال أبو المجد، دار الشروق، القاهرة، ط١ ، ١٤٠٨ هـ.
٢٣- عون المعبود شرح سنن أبي داود: لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ.
٢٤- قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية ، د /حسين بن علي بن حسين الحربي، ط ١، ١٩٩٦م.
٢٥-كتاب "اليوم والغد" لسلامة موسى. نقلاً عن الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر للدكتور محمد محمد حسين -رحمه الله-، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٠٠هـ
٢٦- كيف نتعامل مع القرآن، الشيخ محمد الغزالي، دار الوفاء بالمنصورة ١٤٢١هـ .
٢٧- لسان العرب: جمال الدين محمدبن مكرم بن منظور،دار صادر بيروت – لبنان- ١٤١٤هـ .
٢٨- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية، محمد أحمد السفاريني، مؤسسة الخافقين ، دمشق، ١٩٨٢م.
٢٩- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن علي بن سلطان الملا القاري ١٠١٤هـ ، دار الفكر بيروت ٢٠٠٢م.
٣٠- مسند الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، دار الحديث القاهرة، ط١، ١٩٩٥.
٣١- معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط١ ،١٤٢٩هـ،٢٠٠٨م
٣٢- مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ط ٣، ٢٠٠٠م.

٣٣- مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه ، عدنان محمد زرزور، المكتب الإسلامي ط ١، ١٩٨١م.
٣٤- مقدمة في أصول التفسير ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، دار مكتبة الحياة، بيروت ، لبنان ١٩٨٠م.
٣٥- معالم التنزيل، البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود ،الرياض، دار طيبة للنشر، ط ٣، ١٩٨٩.
٣٦- مناهج المفسرين، أحمد محمد الشرقاوي مكتبة الرشد، الرياض، (ط١)، ١٤٢٦هـ.
٣٧- منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، فهد الرومي، ط ٢ بالرياض ١٩٨٣م.
٣٨- مناهل العرفان، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي ط ٣ ، ١٩٤٣م.
٣٩- نحو منهج لتفسير القرآن، محمد صادق عرجون، الدار السعودية للنشر ، جدة.